

Change in the Urban Fabric of Historic Cities (Case Study of the Residential Environment of the Old City of Mosul)

* B.Sc. Ibtihal Do Alfuqhar¹ and Prof. Dr. Mehmet Emre Aysu²

Graduate student, Department of Architecture, Graduate School of Natural and Applied Sciences, Istanbul Okan University, Istanbul, Turkey¹

Head of Department of Architecture, Graduate School of Natural and Applied Sciences, Istanbul Okan University, Istanbul, Turkey²

E-mail¹: ebtehal_m.taher@yahoo.com, E-mail²: emre.aysu@okan.edu.tr.

Abstract

This paper focuses on clarifying the change and state of the urban fabric in the residential environment of the old city of Mosul. This city, with a distinctive architectural character, was destroyed and lost most of its features due to the recent war, in addition to the influence of other factors. From this point, the need arose to shed light on the state of the urban fabric, especially the residential environment in the study site. The research aims to study the dimensions of the change in the urban fabric of the city. The research assumed that there were factors that affected the pattern of traditional housing schemes in the city. The research adopted an analysis system for the city's data, in addition to the survey data that was conducted there, and the comparison between the old city and the modern part of the city of Mosul.

Keywords: Residential Environment, The Old City of Mosul, Traditional Housing, Urban Fabric.

التغيير في النسيج الحضري للمدن التاريخية (دراسة حالة البيئة السكنية للمدينة القديمة في الموصل)

الملخص

يركز هذا البحث على توضيح تغيير وحالة النسيج الحضري في البيئة السكنية للمدينة القديمة في الموصل. هذه المدينة ذات الطابع المعماري المميز، دمرت وخسرت أغلب معالمها بسبب الحرب الأخيرة بالإضافة إلى تأثير عوامل أخرى. انطلاقاً من هذه النقطة ظهرت الحاجة إلى تسليط الضوء على حالة النسيج الحضري وبالأخص البيئة السكنية في موقع الدراسة. يهدف البحث إلى دراسة أبعاد التغيير الحاصل في النسيج الحضري للمدينة حيث افترض البحث وجود عوامل أثرت على نمط مخططات المساكن التقليدية في المدينة. اتخذ البحث نظام تحليل للبيانات الخاصة بالمدينة إضافة إلى بيانات الاستبيان الذي تم إجراؤه فيها والمقارنة بين المدينة القديمة والجزء الحديث من مدينة الموصل.

الكلمات الدالة: البيئة السكنية، المدينة القديمة في الموصل، المساكن التقليدية، النسيج الحضري.

1. المقدمة

تعتبر المدن التاريخية المثال الأول في الدراسات التي تسبق أي مشروع، كونها تلائم البيئة المحيطة بها بأبسط الأساليب والمواد المحلية. وكون البيئة السكنية هي النقطة الأهم في تصميم أي مدينة فقد تعددت الدراسات حول هذا الموضوع لمعرفة الطرق الأمثل للمحافظة على هويتها وحماية نسيجها من التغييرات التي تؤثر سلباً عليها. منذ بداية الاستيطان في المنطقة اتخذت العمارة نمطاً يراعي بيئتها وظروفها المناخية بالدرجة الأولى إضافة إلى طبيعة المجتمع حيث أن مجتمع الموصل عرف على أنه مجتمع محافظ، وهي النقاط التي راعاها نمط المسكن التقليدي في المدينة. بمرور الزمن أصبحت الأراضي تقسم بشكل هندسي متساوية نتيجة تأثير عوامل منها الاقتصاد ومحاولة استغلال الأراضي. فاتجه البناء لاستبعاد الفناء وجعل المسكن عبارة عن كتلة واحدة تتخلها فراغات عمودية (المناور) لتوفير الإضاءة والتهوية اللازمين. بعد أحداث داعش فقدت المدينة العديد من معالمها مثل منارة الحدباء إضافة إلى الضرر الكبير في نسيجها الحضري وعلى عدة مستويات، المستوى الاجتماعي يتلخص بأن سكان المنطقة أغلبهم من أصحاب الدخل الضعيف، والمستوى الاقتصادي يضعف فرص العمل بعد أن كانت حيوية، وأما ثقافياً فقد تزايدت نسبة الأمية للسكان.

2. فرضية وهدف البحث

يفترض البحث وجود عوامل أثرت على نسيج المدينة بشكل عام وبالأخص منطقة المدينة القديمة في الموصل، هذه العوامل أثرت على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمنطقة مسببة خللاً في التنظيم العام لها. ومن هذه النقطة تم تثبيت هدف البحث وهو معرفة أبعاد التغيير الحاصل في النسيج الحضري للمدينة القديمة في الموصل والأسباب التي أدت إلى وصولها لوضعها الحالي.

3. المنهجية

يعتمد البحث جمع المعلومات وتحليلها، بدأ من المعلومات العامة للمدينة وصولاً للمعلومات المذكورة في الأبحاث السابقة (Aziz Amen, 2018 & 2020). يضاف إليها المعلومات التي تم جمعها من ورقة الاستبيان وباعتماد مبدأ المقارنة حيث قام الباحث بتوزيع ورقتي استبيان، الأولى في الجانب الغربي للمدينة في المدينة القديمة في الموصل، والثانية في الجانب الشرقي من المدينة وتحديدًا في منطقة الحدباء.

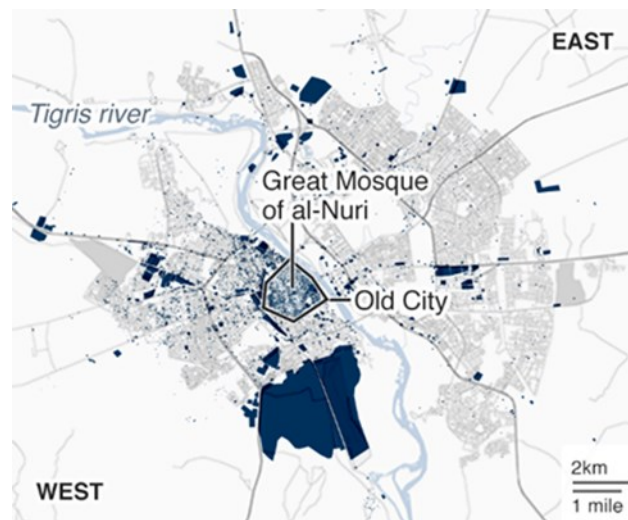
4. مدينة الموصل

هي مركز محافظة نينوى، تقع في الجزء الشمالي من العراق على طرفي نهر دجلة (شكل 1) وتبعد مسافة ٤٣٠ كم إلى الشمال الغربي من مدينة بغداد عاصمة العراق. يعود تاريخ الاستيطان في هذه المنطقة إلى ما قبل العصر الحجري (6000 ق.م.). تاريخ بناء المدينة غير معروف بالضبط إلا أن أول ذكر لمدينة نينوى هو قبل الميلاد. اشتهرت في وقت الحضارة البابلية

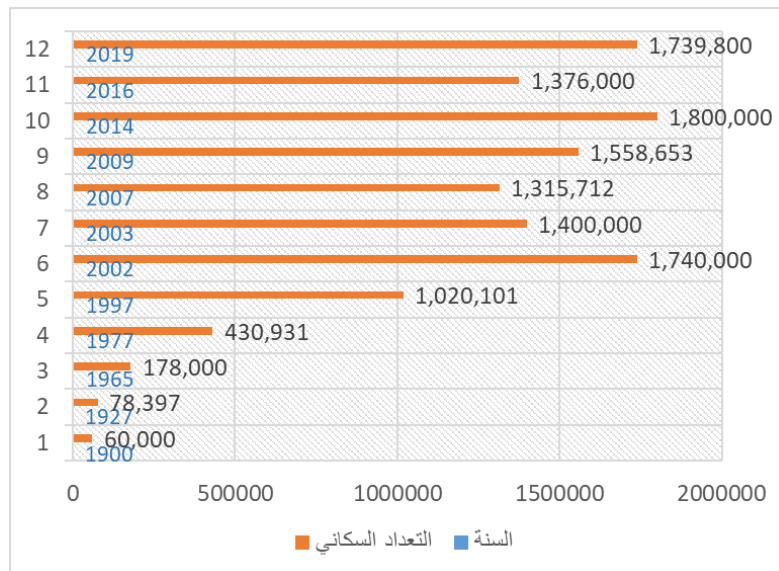
والاشورية. تشير الدراسات ان مدينة الموصل هي مدينة اشورية حيث انهم اتخذوا المنطقة الواقعة على الضفة الشرقية من نهر دجلة في عهد العاهل الاشوري تجلا تليزر (١٠٨٠ ق.م.) [السلطان, 1985]. لقد مرت المدينة بمراحل عديدة من التطور منذ يوم تأسيسها ولكنها كانت مركزا ثقافيا واجتماعيا على مر العصور.

يتميز مناخ المدينة بأنه به جاف, الرياح السائدة في المنطقة هي الرياح الشمالية الغربية. تعد محافظة نينوى ثاني مدينة في العراق من حيث التعداد السكاني بعد العاصمة بغداد, بتعداد سكاني يقدر بحوالي ثلاثة ونصف مليون نسمة حيث تشكل الموصل 57% من سكان محافظة نينوى وحوالي 10% من سكان العراق (جدول 1). عاشت المدينة حالات من الهجرة بسبب الظروف الامنية مثل حرب 2003 و 2014. مستوى المعيشة في المدينة متوسط فمعظم السكان من الطبقة المتوسطة, دخل العائلات في الجانب الايمن وهو الجانب الذي يضم المدينة القديمة يعتبر اقل من متوسط الدخل العام للمدينة.

على الرغم من بساطة المواد المستخدمة في البناء تميز التصميم المعماري في الموصل عن غيره في المدن العراقية في النمط العمراني المميز. بني البيت الموصل على عدة عوامل منها مناخية واجتماعية, اثرت هذه العوامل بشكل مباشر على شكل المخطط والواجهات, شاع استخدام عناصر معمارية مهمة يأتي في مقدمتها الفناء فهو عنصر وظيفي أساسي للفعاليات اليومية والحركة, إضافة إلى وظيفته البيئية في توفير الاضاءة والتهوية الطبيعية [الديوجي واخرون, 2010], إضافة الى عناصر اخرى مثل الايوان والزخرفة.



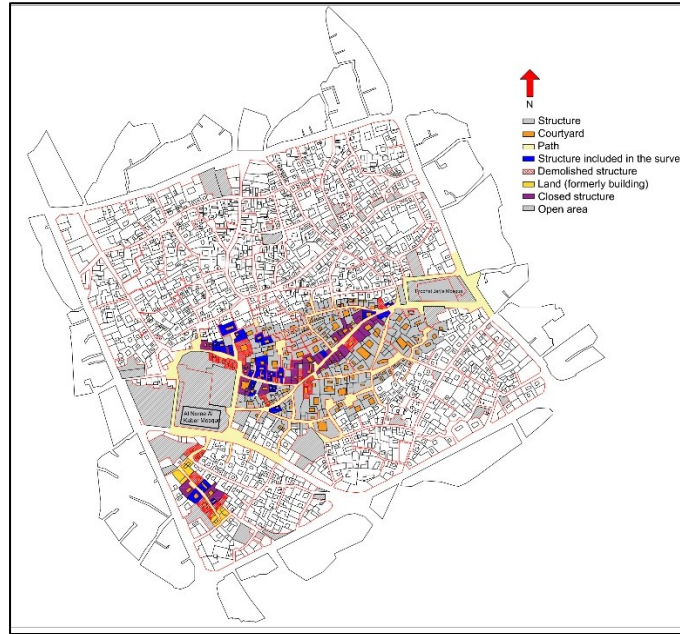
شكل 1 : مدينة الموصل وموقع المدينة القديمة (WEB-1,2017)



جدول 1: جدول التعداد السكاني لمدينة الموصل (الباحث)

5. منطقة الدراسة

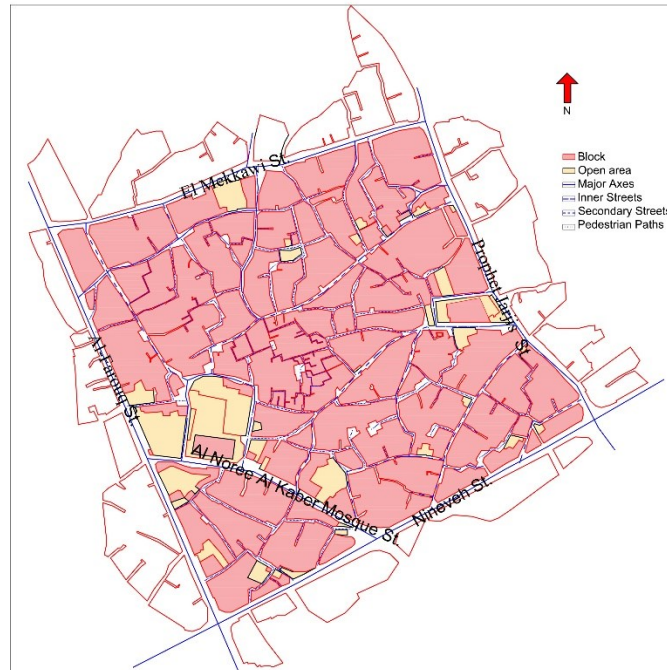
تعتمد الدراسة العملية في الاساس على مبدا المقارنة بين جزئي المدينة, المدينة القديمة (شكل 2) ونسيجها العضوي المتكامل بينما يغلب النظام الشبكي على معظم اجزاء المدينة الاخرى. لذلك تم توزيع 30 ورقة استبيان في كل من المنطقتين ولتحديد نقاط التشابه والاختلاف فيهما من خلال النقاط التالية:



شكل 2: الاستبيان الخاص بالمدينة القديمة في الموصل (الباحث)

5.1. الوصولية

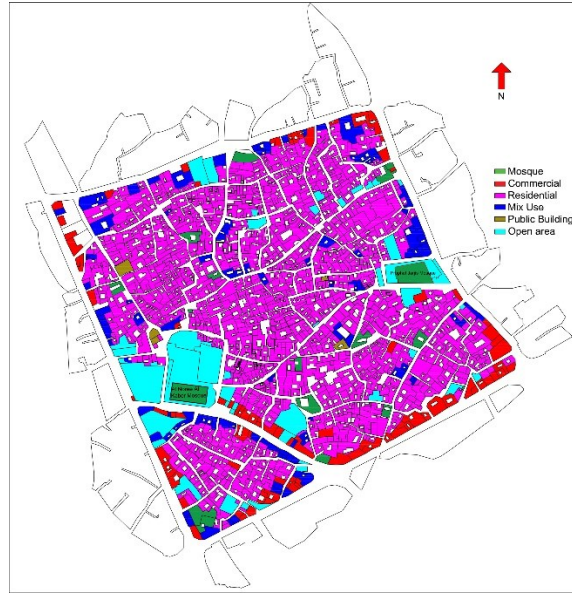
تم اختيار الزقاق بين جامع النوري الكبير وجامع النبي جرجيس في المدينة القديمة للاستبيان الاول. الموقع محاط بشوارع رئيسيين هما شارع نينوى من الجنوب وشارع الفاروق من الغرب، يحده من الشرق شارع النبي جرجيس ومن الشمال شارع المكاوي. تخلق هذه المنطقة عددا من الازقة والشوارع الضيقة والتي تصل الى عرض المتر او اقل (شكل 3). اما في المنطقة الثانية فالشوارع متعامدة بنظام شبكي وقطع الاراضي ذات اشكال منتظمة.



شكل 3 : مخطط الوصولية (الباحث)

5.2. استخدامات الارض

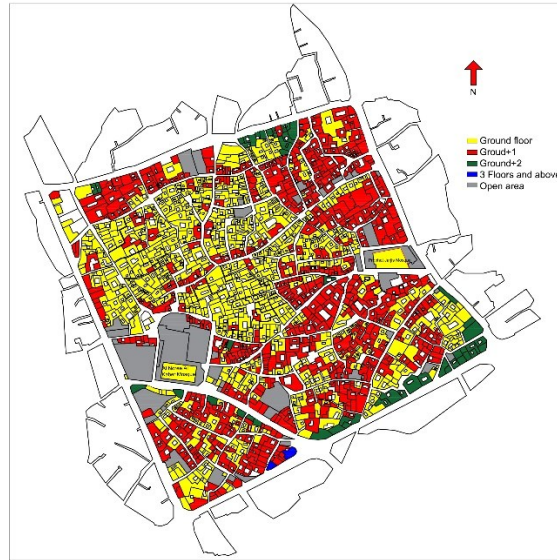
تتنوع استخدامات الأرض في الموقع بين المباني السكنية والتجارية والدينية والعامة ، لكن الاستخدام السكني يغطي الجزء الأكبر منها (شكل 4). وبحسب البيانات التي تم الحصول عليها من مشروع التجديد العمراني للمدينة القديمة في الموصل 2008 ، فإن الاستخدامات تتوزع على النحو التالي: 83% سكني ، 10% تجاري ، 3% استخدام مختلط ، و 2% مباني عامة (مشروع التجديد الحضري لمركز مدينة الموصل القديمة، 2008).



شكل 4: مخطط استخدامات الارض (الباحث)

5.3. الارتفاعات

ارتفاع المبنى او عدد الطوابق فقد عرف البناء في المدينة القديمة بكونه ذو طابق واحد ارضي او مكون طابقين ارضي واول، واعتمد هذا الارتفاع على جميع انواع المباني. حسب الدراسة التي اجريت سنة 2008 فالبيانات كانت كالآتي: 50.9 % طابق واحد، 46.6 % طابقين، 1.9 % ثلاث طوابق و 0.5 % اربع طوابق واكثر (مشروع التجديد الحضري لمركز مدينة الموصل القديمة، ٢٠٠٨). ومن الاستبيان الذي تم اجراؤه في الموقع المختار تم التوصل الى النتائج التالية: 40 % طابق ارضي، 43 % طابق ارضي+1، طابق ارضي+2 10 % و طابق ارضي+3 7 % (شكل 5). نمط البناء في الجزء الحديث من المدينة يسود فيه البناء ذو طابق ارضي واول ومن الاستبيان المجري في منطقة الحدباء كانت النتائج كما يلي: 80 % ارضي+1، 10 % ارضي و 10 % ارضي+2 .

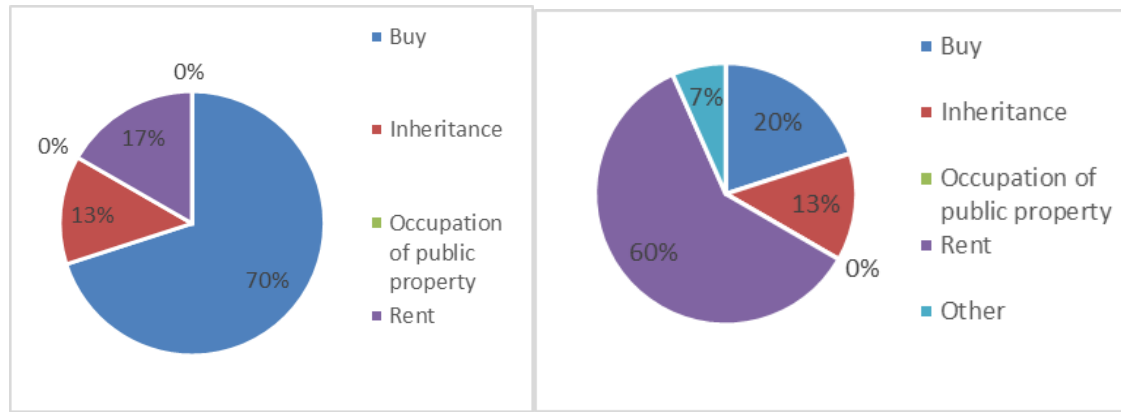


شكل 5: مخطط ارتفاعات المباني (الباحث)

5.4. الخصائص الاجتماعية، هيكل العائلة والملكية:

المجتمع الموصل معروف بسماته الحضارية منذ القدم، انعكس هذا الامر على جوانب الحياة بشكل كبير. تسكن عوائل المدينة القديمة في منزل العائلة الكبير اي انها (extended family). رب الاسرة هو الاب او الام وفي حالات غياب الابوين يتولى الامر الجد او الجدة. عدد الاطفال للعائلات الكبيرة ٤ على الاقل. الملكية في المدينة القديمة هي للايجار بالنسبة الاكبر وذلك لان اغلب السكان تركو المنطقة بعد الحرب بسبب الوضع الامني، وفي المرتبة الثاني الملكية الخاصة ثم الميراث (شكل 6).

اما بالنسبة للعائلات في الاستبيان الثاني فيغلب عليها كونها (nuclear family)، مكونة من الاب، الام والاطفال الذين يكون متوسط عددهم 2-3 للعائلة الواحدة. رب الاسرة هو الاب. والملكية هي الملكية الخاصة بالدرجة الاولى يليها الايجار والميراث (شكل 7).



شكل 6: نسب الملكية في المدينة القديمة (الباحث) شكل 7: نسب الملكية في منطقة الحدباء (الباحث)

5.5. التعليم ، الحياة الاقتصادية والمهن

سكان المدينة القديمة في الموصل لهم نصيب ليس بقليل من الامية وذلك بسبب نقص الوعي لاهمية التعليم اضافة الى فقر المستوى المعيشي الذي تسبب به كون مستوى دخل الافراد اقل بكثير متوسط الدخل العام في المدينة. فالعائلات تحتاج الى راتب اكثر من شخص واحيانا يعمل 3 افراد من نفس العائلة لتأمين لقمة العيش. اغلب العاملين هم من اصحاب الاجور اليومية والمهن البسيطة كعامل البناء، الخباز او عامل في محل ملابس وغيرها. سبب ترجيح السكن في المنطقة هو قربها من المناطق التجارية ومناسبة قيم الايجار مع رواتبهم القليلة. في الاجزاء الاخرى من المدينة نلاحظ ارتفاع مستوى التعليم للافراد وزيادة في مستوى الدخل عن المدينة القديمة كما هو الحال في منطقة الاستبيان الثاني.

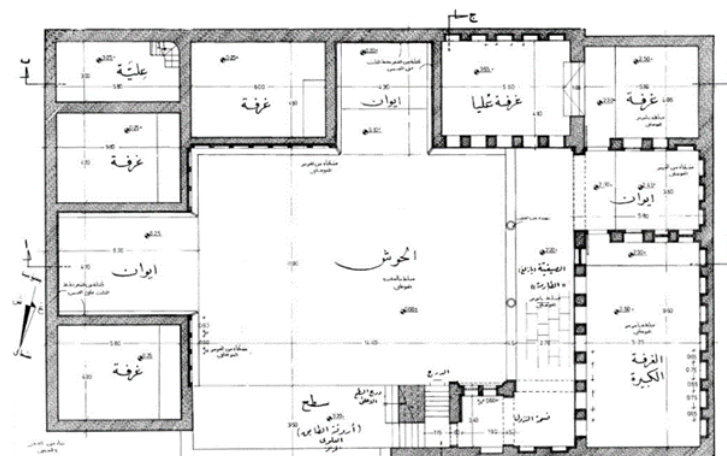
5.6. تحليل النسيج، المخططات والواجهات

يمكن تمييز نسج المدينة القديمة بتقارب المباني بشكل كبير مكونة كتلة كبيرة اضافة الى شكل الازقة الضيق والمتعرج والذي يقلل من المساحة المعرضة للشمس هذه العناصر تساعد في مقاومة الظروف البيئية . تصميم المباني موجه نحو الداخل (شكل 8) والواجهات تكون قليلة الفتحات مراعاة لمبدأ الخصوصية. بتوسط المبنى فناء وسطي مفتوح تكون الفضاءات موجه عليه، هذا الفناء يستخدم لتلطيف الجو. الايوان هو فراغ يتوسط غرفتين ويكون موجه نحو الفناء. السرداب هو فضاء يقع تحت الفناء وتكون شبابيكه مطلية على الفناء. عدد الغرف في بيوت المدينة القديمة يكون 2-3 غرف ويصل الى 6 غرف في المنازل ذات المساحة الكبيرة.

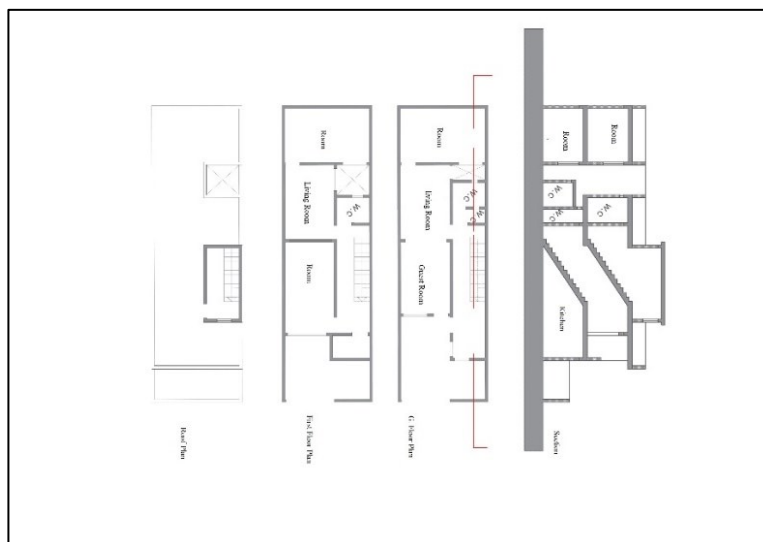
اما بالنسبة للمباني الحديثة تكون موجه نحو الخارج (شكل 9)، موقع الفناء غير مركزي وعادة مايكون صغيرا جدا يستخدم كموقف للسياره، تستعمل في الواجهات عناصر جمالية عديدة وبطرز مختلفة، عدد الغرف عادة مايكون 3-4 غرف.

5.7. تصنيف المباني في مدينة الموصل القديمة:

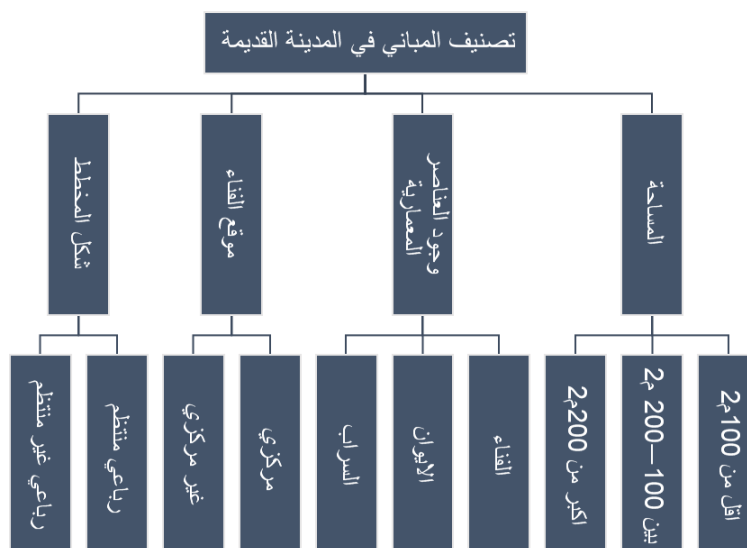
حسب الدراسة العملية التي تمت داخل منطقة الدراسة، تم التوصل الى عدد من العوامل المشتركة في نمط البناء منها: وجود العناصر المميزة للعمارة الموصلية مثل الفناء وموقعه الذي يكون مركزي في الغالب وشكل المخطط الذي يكون غير منتظم نتيجة النسيج العضوي والتقسيم العشوائي للاراضي وهذه النقطة هي ايضا السبب في اختلاف مساحات المنازل بالاضافة الى تفاصيل اخرى (شكل 10).



شكل 8: مخطط بيت التنجى (مكتب الانشاءات الهندسي -الموصل, 1982)



شكل 9: مخطط مسكن في الاستبيان الثاني (الباحث)



شكل 10: تصنيف المباني في المدينة القديمة للموصل (الباحث)

الاستنتاجات

- في الجزء العملي من البحث تم اختيار المدينة القديمة في الموصل كونها قلب المدينة إضافة الى حاجة المنطقة الى الاعمار بسبب وضعها التي الت اليه بعد حرب داعش. هذه المنطقة كانت تعتبر من أكثر المناطق اقتضاضا بالسكان أصبحت في الوقت الحالي شبه مهجورة وذات ضرر كبير .
- يتميز نسيج مدينة الموصل بالتنوع بين النظامين الشبكي والعضوي، هذا الاختلاف نتج عن اختلاف الفترات الزمنية التي تم البناء فيها إضافة الى تأثير العوامل الاجتماعية والاقتصادية .
- مخططات المساكن في المدينة القديمة تتميز باختلاف أشكالها حسب مساحتها فهي في الغالب اشكال رباعية غير منتظمة ناتجة من تقسيم الاراضي الغير متساوي.
- نتيجة التداخل الذي حصل جراء الحرب والهجرة من وإلى المدينة فقد عانت المدينة القديمة من تغيير في معالمها، حالتها وسكانها، سكان المدينة القديمة انتقلوا للعيش في احياء او مدن أخرى تاركين بيوتهم للايجار وبقيم رمزية .
- اذا ما تم تقسيم المدينة حسب مستوى الدخل نلاحظ التفاوت الملحوظ بين جهتي المدينة، الجهة الشرقية غالبيتها جيدة او متوسطة الدخل اما الجهة الغربية فهي متوسطة او قليلة الدخل .
- ظهور حالات الاعمار الهجين داخل حدود المدينة القديمة وينمط البناء الحديث للابنية التي تهدمت كلياً او جزئياً، الامر الذي يهدد نسيج المدينة وهويتها .
- الحث على مواصلة استخدام عناصر العمارة الموصلية مثل الفناء الوسطي، الايوان والزخارف فهذه العناصر فضلاً عن اهميتها التصميمية توفر قيمة جمالية لايمكن الاستغناء عنها.
- محاولة النهوض بالواقع التعليمي لسكان المنطقة عن طريق نشر الوعي باهمية ضرورة التعليم واعادة اعمار المدارس في المنطقة تشكل نقطة ضرورية في هذه الخطوة .
- تشجيع الاقتصاد المحلي، فتح مشاريع جديدة لزيادة فرص العمل وتوفير الدعم اللازم لارباب العمل اساسي في رفع مستوى دخل الافراد. هذه المشاريع هي بالاساس فرصة السكان في المنطقة ورد روح التجارة فيها .

- التعريف بالهوية الثقافية والتاريخية للمنطقة ومدى أهميتها، يمكن استغلال عدد من الابنية ضمن المدينة القديمة وجعلها مركز ثقافي لوصف تاريخ وعمارة المدينة او عن طريق اقامة الندوات الثقافية المحلية والدولية .
- المساكن التقليدية هي أكثر ملائمة للظروف المناخية ومتطلبات الحياة الاجتماعية من خصوصية وعزلة لسكان المنزل, نمط البناء الحديث هو نتاج عوامل تغيير في نمط البناء والتحدد بقواعد البناء واستغلال المساحات.

المصادر

- Alaane, Talaat T. I. M. Alaane, (2014), The Attributes of Architectural Form of Traditional House- Internal Facades of Mosul's Traditional House as a Case-study, Al-Rafidain Engineering, Vol.22, No. 2.
- Alani, Mostafa M., (Alani, 2018), Heritage at Stake: Computational Design Processes for Rescuing Mosul's Architectural Identity, SIGRAD2018, 22th conference of the iberoamerican society of digital graphics.
- Al-Azzawi, Amer A.Abdulla A.Fathi F., (Al-Azzawi, 2004), thesis, "The Change of Spatial Organization Types of Houses in Mosul City".
- Al-Hafith, O., Satish, B.K., Bradbury, S., Wilde, P., (2017), The impact of courtyard compact urban fabric on its shading: case study of Mosul city, Iraq, CISBAT 2017 International Conference – Future Buildings & Districts – Energy Efficiency from Nano to Urban Scale.
- Al-Huyale, Mohammed Mahfoodh Taha, (Al-Huyale, 2012), Thesis, The Effect of Constructional Potentialities on Domestic Residence Sustainability Mosul Residence case study.
- Aljameel, Dr. Ali .H. S. and Al-Tuhafi, Assda A. H., (2014), The Property of Similarity in the Plans of Traditional Houses in Old Mosul City, Al-Rafidain Engineering Vol.22, No. 4.
- Al-Tuhafi, Assda Abdulhameed Abdulmajeed, (2006), thesis, Layouts Organizations in Architecture, " An Analytical Study of Shape Organization Grammars of Traditional Houses in Mosul".
- Aziz Amen, M. & Nia, H. (2018). The dichotomy of society and urban space configuration in producing the semiotic structure of the modernism urban fabric . Semiotica, 2018(222), 203-223. <https://doi.org/10.1515/sem-2016-0141>
- Aziz Amen, M. & Nia, H. (2020). The Effect of Centrality Values in Urban Gentrification Development: A Case Study of Erbil City. Civil Engineering and Architecture, 8(5), 916–928. doi:10.13189/cea.2020.080519
- Dr. Alkymakchy, N.T., Alsoofe, H.H., Dr. Alallaf, E. H., (2014), Evaluation Study of the Election Strategy of the Thematic Routes in the Urban Renewal Project for Mosul Old Town, Al-Rafidain Engineering, Vol.22, No. 3.
- Dr. Haider Abdel-Razzaq Kammuna, 2008, "Using the inner courtyard as a thermostat in the traditional Iraqi house", Popular Heritage Magazine / Department of Public Cultural Affairs, No. 4.
- Dr.Hussein, Shaimaa Hameed, Zina Riadh Abdulla and, Nawras Motathid Daoood , (2019), Urban Regeneration through Post-War Reconstruction: Reclaiming the Urban Identity of the Old City of Mosul, Periodicals of Engineering and Natural Sciences, Vol. 7, No. 1, June 2019, pp.294-301.
- Mustafa, Mozahim M., Daizhizhong and Yuan Hong , (Mustafa, 2010), The Characteristics of Architecture Style of the Traditional Houses in the Mosul City-Analytical Study, American J. of Engineering and Applied Sciences 3, (2): 380-389.
- UN Habitat, 2018, Mosul old city reconstruction priorities .
- UN Habitat, 2019, Initial Planning Framework for the Reconstruction of Mosul.
- WEB_1, 2017, UN Habitat, <https://www.bbc.co.uk/news/resources/1dt-9d41ef6c-97c9-4953-ba43-284cc62ffdd0>
- عبد الماجود احمد السلطان، الموصل في العهدين الراشدي والاموي، مطبعة جامعة الموصل، صفحة 23 ، 1985 .
- مشروع التجديد الحضري لمركز مدينة الموصل القديمة، 2008، وزارة البلديات والاشغال العامة، المديرية العامة للتخطيط العمراني.
- مكتب الانشاءات الهندسي-الموصل، 1982، العمائر السكنية في مدينة الموصل (نماذج من التوثيق العام)، ص45.
- ممتاز حازم الديوجي، خولة فياض وأصداء عبد الحميد، 2010، الانتظام الهندسي لأشكال الفناءات في المساكن الموصلية التقليدية، المؤتمر المعماري الدولي الثامن، قسم الهندسة المعمارية، جامعة اسيوط- مصر.
- نسمة معن محمد ثابت، مها اكرم سعدالله الحنكاوي، 2019، اثر تغير انماط المساكن الموصلية المعاصرة على الارتقاء بالصورة الحضرية لمدينة الموصل، الندوة العلمية: الارتقاء بالصورة العمرانية لمدينة الموصل.